الردع الاستراتيجي العربي في مواجهة اسرائيل

صبري جريس

الخطاب الذي القاه الرئيس العراقي، صدام حسين، في أوائل نيسان (ابريل) الماضي، وأعلن فيه انه سيجعل النار «تأكل نصف اسرائيل» اذا حاولت الاعتداء على المنشآت العسكرية الصناعية العراقية أثار، ولا يزال يثير، اصداء واسعة، وردود فعل مختلفة في منطقة الشرق الاوسط، وخارجها. فقد فُهم من هذا الخطاب، وما تلاه من تصريحات لمسؤولين عراقيين آخرين، وكذلك من ردود الفعل والتعليقات العالمية، سواء رسمية كانت أم اعلامية، ان العراق بات يملك رادعاً استراتيجياً مستقلاً، لم يكن، حتى الآن، تحت تصرّف أية دولة من دول الشرق الاوسط، عدا اسرائيل التي تمتلك الاسلحة الذرية.

صحيح ان الرئيس العراقي قد كرر ان بغداد لا تمتلك، في الوقت الحاضر، اية اسلحة ذرية، ولكن، في ضوء امتلاكها السلاح الكيميائي المزدوج، او الثنائي، باتت تتمتع بالقدرة على ممارسة استراتيجية الردع والردع والمضاد، معتمدة على اسلحة لا تقل عن السلاح النووي بطاقتها التدميرية الفتاكة. فالمطلعون، من عسكريين وخبراء استراتيجيين، يصنّفون الاسلحة الكيميائية الثنائية في فئة ما يسمى بأسلحة الدمار الشامل، التي يقصد بها، تحديداً، الذخائر النووية والبيولوجية والكيميائية. وليس سراً، على كل حال، ان العراق يمتلك اسلحة كيميائية منذ بضع سنوات، وان قواته استخدمتها في حرب الخليج. لكن الشائع، عموماً، حتى الآن، كان ان هذه الذخائر تقتصر على اسلحة «بدائية»(!) مثل غاز الخردل وانواع «بسيطة» أخرى من غازات الاعصاب. أمّا الآن، فان الوضع يختلف؛ اذ ان الحديث لا يدور حول هذا النوع من الاسلحة فقط، بل حول وجود الذخائر الكيميائية الثنائية (مزدوجة التركيب)، وهي أحدث ما تمّ التوصل اليه في هذا المجال. وهذه الاسلحة هي نوع متقدم من غازات الاعصاب، ذات طاقة فتّاكة كبيرة، لا تسمح بتخزينها في وضع جاهز للاستخدام. لذلك تُجزّأ الى مادتين منفصلتين، وتكون كل منهما على حدة غير مؤذية اطلاقاً. ولا تدمج هاتان المادتان الّا بعد اطلاقهما، او قذفهما، وعندئذٍ يتحول هذا المزيج الكيميائي في الهواء، غازاً فتاكاً، ينتشر بسرعة، ويكون تأثيره على الكائنات الحية، من انسان وحيوان ونبات، مشابهاً، الى حد بعيد، لتأثير اي تفجير نووي. ويقال ان هذه الاسلحة موجودة حتى الآن، اضافة الى العراق، لدى الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي فقط؛ ويقال، أيضاً، ان العراق قد صنع هذا السلاح منذ سنة ١٩٨٧، ولم يستعمله في الحرب ضد ايران.

أمّا العامل الآخر الهامّ في هذا المجال، فهو ما يفترض من امتلاك العراق قدرة لا بأس بها